مجلة مركز بحوث ودراسات

المدينة المنورة

العدد الرابع والثلاثون/ رجب - رمضان ١٤٣١هـ . يوليو - سبتمبر ٢٠١٠م

٣٤

- الآثار الدينية والسياسية لغزوة الخندق . دراسة تاريخية تحليلية
- نسخ القرآن الكريم المخطوطة والموقوفة في مكتبة الشيخ عارف حكمت
- صرة الحرمين الشريفين
- مكتبة الحرم النبوي . لمحات من التاريخ والحاضر .

عمارة المسجد النبوي الشريف منذ إنشائه حتى نهاية العصر المملوكي
عرض كتاب
للدكتور محمد هزاع الشهري

أ. أيمن ضبعان عجيان العوفي
مساعد باحث في مركز بحوث
ودراسات المدينة المنورة

المقدمـــة الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وآله وصحبه أجمعين، وبعد:

فيُعدّ الدكتور محمد هزاع الشهري من أبرز الكتّاب الذين اهتموا بتاريخ بناء المسجد النبوي عبر التاريخ، وله في ذلك كتابان **الأول:** عمارة المسجد النبوي منذ إنشائه حتى نهاية العصر المملوكي **والثاني:** المسجد النبوي الشريف في العصر العثماني ٩٢٣-١٣٤٤هـ. وسوف أعرض الكتاب الأول وأؤجل عرض الكتاب الثاني إلى عدد قادم إن شاء الله تعالى.

يتكون الكتاب من ثلاثة فصول في (٤٩٢) صفحة. **تحدث في الفصل الأول عن قدوم النبي ﷺ للمدينة ونزوله في بيت أبي أيوب الأنصاري** ﷺ وشرائه الأرض التي بركت فيها ناقته القصواء من غلامين يتيمين. وبيّن الباحث أن جزءاً من هذه الأرض قد اتخذ فيها أسعد بن زرارة ﷺ مصلى صغيراً يصلي فيه بالناس قبل قدوم النبي ﷺ إلى المدينة، وحدّده بأحجار تحميه من امتهان الدواب، وأن النبي ﷺ أمر بتسوية الأرض كلها، وإعداد اللّبن في بقيع الخبخبة، وأشرف ﷺ على إعداده والعمل فيه بنفسه مع أصحابه، وحدد القبلة إلى بيت المقدس، ثم بدأ بتنفيذ البناء، وهو بناء

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

بسيط وجَّه إليه بقوله: "**ابنوا لي مسجداً عريشاً كعريش موسى، ابنوه لنا من لَبِن**".

بنيت أساسات المسجد بالحجارة بارتفاع ثلاثة أذرع تحت الأرض، وبنيت جدرانه باللبن الترابي بطريقة اللبنة الواحدة أول الأمر ثم لبنة ونصف ثم لبنتان اثنتان، وبلغ سمك الجدار ذراعاً ونصفاً، وارتفاعه خمسة أذرع، وسقفت الجهة الشمالية بعوارض ترتكز على جذوع النخل، ووضع فوقها الخصف والإذخر، وغشيت بالطين فيما بعد.

مرحلة تحويل القبلة:

وبعد سنة وستة أشهر أو سبعة أشهر من الهجرة النبوية جاء الأمر الإلهي بتحويل القبلة من بيت المقدس شمالاً إلى مكة المكرمة جنوباً، وترتب على هذا الحدث الكبير تغيير موقع الصلاة المسقوف، فسقف الجزء الجنوبي من المسجد وبقي القسم الشمالي لإيواء الفقراء والمساكين، وكان ما بين الجزأين المسقوفين رحبة واسعة، وكان الرسول ﷺ في هذه المرحلة حريصاً على تعيين القبلة بدقة، فأتاه جبريل عليه السلام فرفع له الكعبة، وقال: "**يا رسول الله، ابن قبلة مسجدك وأنت تنظر إلى الكعبة، فصوب قبلته وهو يشاهدها لا يحال بينه وبينها**"، وأصبحت حجرات أمهات المؤمنين مجاورة لصدر المسجد، أي لرواق القبلة الجديد.

المرحلة الرابعة لعمارة المسجد النبوي الشريف:

في السنة السابعة، عقب غزوة خيبر، رأى رسول الله ﷺ ضيق المسجد بالمصلين، فأمر بتوسعته من الشرق بمقدار عشرة أذرع أو أسطوانة، ومن الغرب بمقدار عشرين ذراعاً أو أسطوانتين، ومن الشمال بمقدار أربعين ذراعاً، واستخدمت الحجارة لرفع أساس جدرانه، ثم وضعت على الأساس اللبنتان المعترضتان، ورفع السقف إلى سبعة أذرع، أي ثلاثة أمتار ونصف.

عمارة المسجد النبوي في عهد الخلفاء الراشدين:

بيّن الباحث أن المسجد النبوي شهد في عهد الخلفاء الراشدين توسعتين: **الأولى:** في عهد الفاروق عمر بن الخطاب ﷺ، **والثانية**: في عهد عثمان بن عفان ﷺ.

أما توسعة الفاروق عمر ﷺ فقد أحسّ بضيق المسجد وحاجة الناس إلى التوسعة، فاشترى ما حول المسجد من دور، وضمّ أرضها إلى المسجد وأعاد بناءه على هيئته في العهد النبوي، ولكن زاد في ارتفاع جدرانه ومساحته، فارتفع السقف إلى أحد عشر ذراعاً، وازدادت مساحته من الجنوب عشرة أذراع ومن الغرب عشرين ذراعاً ومن الشمال ثلاثين ذراعاً، وبيّن الباحث أن عمر ﷺ استحدث في هذه التوسعة ثلاثة أبواب، باب السلام، وباب النساء، وباب في مؤخر المسجد، وأبقى على الأبواب التي كانت في عهد الرسول ﷺ، التي لم تتغير عن موضعها في هذه العمارة، كما أن الأسطوانات السابقة استبدلت بأسطوانات جديدة ووضعت في المكان ذاته.

وسقف المسجد بالجريد، وبنى فوق ظهر المسجد سترة طولها ثلاثة أذرع.

وفُرش المسجد بالحصباء التي جيء بها من وادي العقيق. وقد حافظت هذه التوسعة على معالم المسجد التي كانت في عهد الرسول ﷺ كالمنبر وموضع المصلى الشريف، وحدود الروضة ومواضع الأبواب.

وقد قدر مكتب التوسعة السعودية زيادة الفاروق عمر بن الخطاب ﷺ بـ (١١٠٠م٢).

وأما توسعة ذي النورين عثمان بن عفان ﷺ:

فقد حدثت في سنة ٢٩هـ من الهجرة لأسباب كثيرة، من أهمها: ضيق المسجد بالمصلين، وظهور آثار النخر في سواري المسجد التي كانت من جذوع النخل، وكان مقدار التوسعة عشرة أذرع جنوباً وعشرة أذرع غرباً،

وعشرين ذراعاً شمالاً، واستخدم عثمان ﷺ في توسعته الحجارة المنحوتة، وهي ما تعبر عنه الروايات بالأحجار المنقوشة، واستبدل سواري المسجد التي كانت من جذوع النخل بالحجارة، ووضع فيها أعمدة الحديد والرصاص كي يزيد في تماسكها، كما حرص على وضعها في مواضع الأسطوانات السابقة من أجل أن لا يتغير موضع الأسطوانات التي كانت على عهد الرسول ﷺ، كما احتفظ بعدد الأبواب وأماكنها.

واستحدث عثمان ﷺ في هذه التوسعة مقصورة من لبن في مقدمة المسجد حماية للإمام، وجعل فيها كوة ينظر الناس منها إليه.

وقد قدّر مكتب التوسعة السعودية زيادة عثمان ﷺ بـ(٤٩٦)م[٢].

عمارة المسجد النبوي في عهد الوليد بن عبد الملك:

بقي المسجد النبوي بعد زيادة عثمان ﷺ على حاله قرابة ٥٨ سنة لم يشهد شيئاً من الأعمال المعمارية إلا ما قام به مروان بن الحكم من تبليط حول المسجد بالحجارة.

وفي عهد الوليد بن عبد الملك شهد مسجد رسول الله ﷺ توسعة معمارية كبيرة كُلّف بتنفيذها عمر بن عبدالعزيز، وأُمر بإدخال حجر أزواج النبي ﷺ في المسجد، وشراء ما في نواحيه حتى يكون مائة ذراع في مثلها، وكان أول عمل قام به عمر بن عبدالعزيز حفظ حجرة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، التي بها القبور الشريفة، فهدمت الجدران القديمة وبني مكانها بيت مربع بالحجارة والقَصَّة ليس له باب، وسقف بالخشب، ثم بني خلفه جدار مخمس الأضلاع كي لا تكون الصلاة إلى القبور الشريفة، ثم هدمت جدران المسجد على التوالي، وبني أساس المسجد بالحجارة الغشيمة، وبنيت الجدران فوقها بالحجارة المنقوشة المتقنة، وأنشئت الأسطوانات الجديدة في مواضع الأسطوانات القديمة، وتتألف

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

كل أسطوانة من قطع حجرية مستديرة مثقوبة الوسط توضع قطعة فوق أخرى حتى تؤلف أسطوانة مستديرة كسواري الرخام، وكان يوضع في وسط الحجارة المدورة عمود من الحديد يسكب عليه الرصاص المذاب ليملأ الفراغ حول العمود ويزيد من التحام القطع وقوتها، وجعل أسفل الأسطوانات قدر سترة اثنين يصليان إليها وقدر مجلس اثنين يتساندان إليها.

وقد قدّر مكتب التوسعة السعودية عمارة الوليد بـ(٢٣٦٩)م٢.

وتعتبر أكبر توسعة مر بها المسجد النبوي في تلك الفترة، حيث بلغت أربعين ذراعاً في الشرق، وعشرين ذراعاً في الغرب، وأربعين ذراعاً في الشمال، وانتقلت الأبواب القديمة إلى الجدران الجديدة ووضعت على سمت الأبواب القديمة، ومن ثم ظلت محتفظة بأسمائها، وهي: باب النساء وباب جبريل في الجدار الشرقي وباب الرحمة وباب السلام في الجدار الغربي، وكذلك الباب الذي في مؤخر المسجد.

وقد أضافت هذه التوسعة عدداً من العناصر الجديدة من أهمها:

المحراب المجوّف الذي بني في مكان وقوف الإمام، والمنارات التي أصبحت المكان المناسب لوقوف المؤذن عليها، وكان من قبل يؤذن للصلاة من أعلى سطح المسجد أو من مكان مرتفع قريب منه، كما أضافت هذه التوسعة الشرفات وهي نوافذ في الجدران المطلة على الساحة الداخلية للمسجد، وبعض الزخارف والنقوش التي لم تكن في المسجد من قبل، وقد استخدم فيها مكعبات الفسيفساء ووطليت نقوش السقف بالذهب وأصبح المسجد النبوي في ذلك الوقت تحفة معمارية.

عمارة المسجد النبوي في عهد الدولة العباسية:

بيّن الباحث أن حاجة المسجد النبوي إلى التوسعة كانت قائمة منذ بداية الدولة العباسية، وبالرغم من ذلك لم يشهد في تلك الفترة سوى

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

التجديد والترميم، وبناء ستور الصحن التي أمر بها أبو جعفر المنصور على عمد لها رؤوس كهيئات الفساطيط، وجعلت في الطيقان، فكانت الريح تحركها حتى يكاد العمود أن يسقط، فغيرها وأمر بستور أكثف تعمل على الناس كل جمعة، وبعدها هدم دار القضاء المجاورة للمسجد النبوي وأضافها إلى رحبة المسجد ليصلي فيها الناس، وفتح للمسجد باباً ينفذ إليها سمي باب زياد.

زيادة المهدي للمسجد النبوي:

أتت زيادة المهدي للمسجد النبوي كما هي العادة في الزيادات السابقة استجابة لتطور المجتمع الإسلامي، فولى بناءه عمر بن عاصم بن عمر، وعبد الملك بن شبيب الغساني، وأمر بشراء ما حول المسجد من المنازل والدور ليوسع بها المسجد، واختلف المؤرخون في مساحة هذه الزيادة، وأغلب الروايات تتفق على أنها كانت مائة ذراع في الشمال فقط، مع الإبداع الفني الذي استخدم في هذه العمارة، حيث قام بنقش المسجد و زخرفته بالفسيفساء وألواح الرخام .

وقد قدّر مكتب التوسعة السعودية هذه الزيادة بـ(٢٤٥٠)م٢ ،

وأما الفصل الثاني فقد تحدث فيه المؤلف عن:

عمارة المسجد النبوي بعد الحريق الأول في خلافة المستعصم بالله :

عرض الباحث الحريق الذي شب في المسجد النبوي سنة٦٥٤هـ ودمر مبناه، وبيّن أن إعادة بنائه جرت برعاية وتمويل كل من ملكي مصر نور الدين بن عز الدين أيبك وسيف الدين قطز، وملك اليمن يوسف بن رسول، واستغرقت أربعة أعوام وعرض تفاصيل البناء التي موّلها كل منهم.

ولما تولى الظاهر بيبرس عرش مصر أكمل بناء سقف المسجد

وجدرانه، وقد اتفق المشرفون على العمارة أن يجعلوا السقف الشمالي سقفاً واحداً على خلاف الظلتين الشرقية والغربية التي كان فيها السقف مزدوجاً، وزاد في منارات المسجد النبوي، وأرسل للمسجد النبوي منبراً تميز بالجمال ودقة الصنعة، وأحاط الحجرة الشريفة بدرابزن مصنوع من الخشب المخروط، وفرش المسجد النبوي بالرمل الأحمر الذي جلبه من واد العقيق.

وفي عهد الملك المنصور سيف الدين قلاوون بنيت فوق الحجرة الشريفة قبة لحمايتها من تسرب مياه الأمطار إليها عرفت بالقبة الزرقاء، واستبدل السور الذي كان فوق سطح المسجد تمييزاً للحجرة الشريفة وصيانة لها بدرابزين من الخشب يحيط بالقبة.

وفي عهد الملك الناصر محمد قلاوون جُدّد سقف الروضة الشريفة، وسقف الرواقين الشرقي والغربي وجعلهما على هيئة السقف الشمالي.

وأما الفصل الثالث فقد عرض الباحث فيه عمارة المسجد النبوي في عهد الأشرف قايتباي وذكر أن الأشرف قايتباي جدد عمارة المسجد، وشمل التجديد الروضة ببلاطاتها الثلاثة، ابتداء من جدار الحجرة الشريفة وانتهاء بالأسطوانات التي تلي المنبر، حتى أصبح سقف البلاطتين اللتين زادهما عمر وعثمان رضي الله عنهما في مقدم المسجد مع سقف ما يحاذي الحجرة الشريفة إلى الجدار الشرقي، ثم سقف ما كان غربي المنبر من مقدم المسجد، بالإضافة إلى تجديد جدار الحجرة الشريفة.

و بعد مرور خمسة أعوام على تجديد قايتباي للمسجد النبوي شب حريق في المسجد استلزم إعادة إعماره من جديد، فنشط لذلك السلطان قايتباي وكان أول عمل قام به إعادة بناء القبة الزرقاء، فاستحدث لها دعائم عريضة تقام عليها، وبسبب بناء تلك الدعائم ضاق المسجد من جهة

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

الشرق فوسع الجدار الشرقي، ثم فتح المحراب العثماني، وهدم المنارة الرئيسية وما يليها من الجدارين الشرقي والجنوبي وجدد بناءها، وبنى قبة جديدة فوق المحراب العثماني، وأخرى بين الحجرة الشريفة والجدار القبلي، وبنى حولها ثلاث قباب أخرى تسمى مجاريد.

وقد حدد مكتب التوسعة السعودية الزيادة التي كانت من الشرق بـ (١٢٠) م٢.

وقد مضى على آخر ما قام به قايتباي في المسجد النبوي من تعمير وإصلاح أكثر من خمسمائة عام، وما يزال المسجد النبوي محتفظاً ببقايا عناصر من عمارته رغم ما شهدهُ من أعمال و تجديدات خلال هذه القرون المتلاحقة.